محاضرات ماجستير اللغة العربية

طرائق تدريس

دراسات ادبية

أ.م.د ياسمين أحمد علي

المحاضرة الرابعة

((السرقات الشعرية))

المبحث الأول: **مفهوم السرقة الأدبية**.

تعرّف السرقة في **اللغة:**

بأنها اسم من: "سرق منه الشيء يسرق سَرَقا، واسترقه: جاء مستترا إلى حرز، فأخذ مالا لغيره".(1)

وسرقه: "أخذ ماله خفية".(2)

وقد استعير المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي للكلمة؛ ليدلّ على الفعل ذاته، وهو **السرقة**، وإن كان من اختلاف فهو في ماهية ونوع المسروق فقط.

فالسَّرق في **الاصطلاح:**

"الأخذ من كلام الغير، وهو أخذ بعض المعنى أو بعض اللفظ سواءً أكان أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره".(3) "وهو أن يعمد الشاعر إلى أبيات شاعر آخر فيسرق معانيها وألفاظها وقد يسطو عليها لفظا ومعنى ثم يدعي ذلك لنفسه". (4)

وقد قال طرفة بن العبد:

و لا أغير على الأشعار أسرقها
غنيتُ عنها وشرّ الناس من سرقا.

"والواقع أن الشعراء على اختلاف أزمانهم وأماكنهم كانوا منذ القديم يستعينون بخواطر بعضهم، وكان المتأخر منهم يأخذ عادة من المتقدم إمّا عن طريق الرواية أو بحكم التأثر والإعجاب والمطالعة" (5)،فالعمل على انتزاع الفكرة من منشئها ومبدعها جناية لاتقل عن جناية سلب الأموال والمتاع من صاحبها ومالكها.

---

(1) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1997م،ص 1153.

(2) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ،2005 م،ص427.

(3) المرجع نفسه،ص 427.

(4) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة ،الرياض، ط 3، 1988م، ص1340 ، وينظر: إميل يعقوب و ميشال عاصي، المعجم المفصّل في اللغة والأدب،ص 2714، و د.عبد اللطيف الحريري ،السرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني، ص 1516.

(5) بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن الرشيق المسيلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د ط، 1981 م، ص 217.

" والمفكرون رأس مالهم في الحياة هو أفكارهم التي اهتدوا إليها بعقولهم النيرة وبصيرتهم النافذة وقريحتهم الوقادة وتجاربهم الكثيرة وبسببها أصابهم الكد والإرهاق وسهروا الليالي وواصلوا بها النهار لينفعوا بها الإنسانية . وكل حظهم من هذا العناء أن يكون لهم مجد يُذكرون به حياتهم ويخلدهم بعد مماتهم ويكتب لهم ذكرا في العالمين يعوض عليهم ما فقدوه في دنيا المال والمناصب والجاه ".(1)

"وهم حريصون على ثمره كفاحهم الذي عرفهم الناس به واعترفوا لهم بالعظمة والإبداع بسببه، حتى عدو السطو على تلك الثمرات وادعاءها جريمة لا تغتفر ".(2)

ولم يخل لزمان من نقاد جهابذة استطاعوا بجهودهم واطلاعهم الكثير وقدرتهم على تمييز الأدب ورده إلى أصحابه بما يعرفون من طبيعة أدبهم ومسلكهم في التعبير أو التفكير، وأن ينبّهوا جمهور القارئين والدارسين إلى الحق الذي كانوا يجهلون وأن يضعوا أيديهم على مواضع الأخذ والاقتفاء وبهذا العمل استطاعوا أن يصنفوا الأعمال الأدبية من العبث ، وأن يقدموا لنا تراثا سليما من عوامل الإدعاء والانتحال ما وسعتهم المقدرة على ذلك وأن يرجعوا كل نص إلى أصحابه إذ كان في طبيعتهم الحفاظ على هذا الأدب والاعتزاز به ، واعتباره تراثا واجب الصون والعناية إذ كان هذا الأدب من أعظم أسباب اتصالهم بأمتهم العريقة وبها كانت تذلل لهم كثير من الصعاب في فهم دينهم ومعرفة عقيدتهم حتى بلغ من حرصهم على ذلك التراث أن يقرنوا كل نص برواية وكل خبر أدبي بسلسلة طويلة من أهل الرواية كما كانوا يفعلون برواية الأحاديث النبوية وينبهون على بعض رجال السند من الضعف أو ما يدعوا إلى اتهامهم بالوضع أو الانتحال ، أو صدق الخبر أو تحريره . (3)

---

(1) بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن الرشيق المسيلي،ص217.
(2) بدوي طبانة ، السرقات الأدبية، دار الثقافة، بيروت، ط2،1986 م ،ص 26 ــ27.
(3) ينظر: بدوي طبانة ، السرقات الأدبية، ص 31 ــ 32 .

المبحث الثاني: أهم الدراسات المنهجية في السرقات الأدبية.

" يذهب بعض الباحثين إلى أن دراسات السرقات دراسة منهجية لم تظهر إلا عندما ظهر أبو تمام. ويميل محمد مندور إلى هذا الرأي" (1)، استنادا لأمرين :

أولا: قيام خصومة عنيفة حول أبي تمام ، والثابت أن مسألة السرقات قد اتخذت سلاحا قويا للتجريح حتى ألفت كتب عدة لإخراج سرقات أبي تمام .
ثانيا: "أن مؤيدي أبي تمام ، وأصحابه عندما قالوا أن شاعرهم قد اخترع مذهبا جديدا وأصبح إماما فيه، لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلا إلى رد ذلك الادعاء . خيرا من أن يبحثوا للشاعر عن سرقاته ليدلوا على أنه لم يجدد شيئا وإنما أخذ عن السابقين ثم أفرط وبالغ ". (2)

" ويستدل مندور على صحة هذا الرأي بما لاحظه طه إبراهيم من أن لفظ **سرقات** لم يستخدمه النقاد المجردون عن الهوى كابن قتيبة الذي استخدم ألفاظا أخرى في غير موضع من (الشعر والشعراء) " .(3)

" ويرى الدكتور مصطفى هدارة إن هذا الرأي صحيح ، فالدراسة المنهجية قد ظهرت قبل وجود الحركة النقدية حول أبي تمام . فأول كتاب ألف في السرقات هو كتاب (سرقات الكميت من القرآن وغيره)، لابن محمد بن عبد الله بن يحي المعروف بابن كناسة والمتوفي سنة207هـ"(4)، " وتبعه ابن السكيت توفي سنة 240هـ" .(5)
"فألف كتاب (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) " (6)، "وبعد ذلك ألف الزبير بن بكار عبد الله القرشي الذي توفي سنة 256 هـ ،(إغارة كثير على الشعراء) ". (7)

---

(1) سبقه إليه طه إبراهيم في كتابه:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص178.
(2) طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، جامعة حلب،ط1، 1996 م ، ص307 .
(3) المرجع نفسه،ص177.
(4) بن النديم ،الفهرست ، تح إبراهيم رمضان ،دار المعرفة ،1997م ،ص 71.
(5) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ،مطبوعات دار المأمون لأحمدفريدرفاعي، 1938م .
(6) ابن النديم ،الفهرست ، ص73 ،وفي:ياقوت الحموي،معجم الأدباء، ص 20 ـــ52 (سرقات الشعراء وما تواردوا عليه).
(7) ياقوت الحموي، معجم الأدباء،ج11،ص164.

ولا نتصور أن هذه الكتب جميعها لا تدرس السرقات دراسة منهجية .حقيقة أن هذه الكتب لم تصل إلينا، وصحيح أن أسماءها لا تدل على ما في بطونها من دراسة، ولكنا نستبعد مع ذلك أن تكون هذه الكتب الثلاثة خالية من دراسة منهجية.خاصة وأننا نلمح فيها تخصيصا لا تعميم فيه،فابن كناسة خصص دراسته لسرقات الكميت وحده، وكاد يخص سرقاته من القرآن فحسب، وابن السكيت خصص كتابه لدراسة المعاني المشتركة بين الشعراء.أما الزبير ابن بكار فاقتصر على سرقات كثير وحده.

وعلى هذا فإنا نتصور أن دراسة السرقات دراسة منهجية بدأت قبل حركة أبي تمام بعدة سنوات، فأبو تمام توفي سنة 231 هـ وأول كتاب تناول سرقاته بطريقة منهجية هو كتاب (سرقات الشعراء) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور سنة 280هـ.(1)

أما ما ذهب إليه طه ابراهيم من أن لفظ **سرقات** لم يستخدمه النقاد المجردون عن الهوى – وضرب بابن قتيبة مثلا على ذلك– فأمر فيه نظر، لأن السرقات تندرج تحتها معان كثيرة لها أسماء مختلفة اصطلح عليها النقاد فيما بعد.فإذا استخدم كاتب ما مصطلحا من هذه المصطلحات كان يعني السرقات في مدلولها العام ، وإن كان قد أشار إليها بهذا المدلول الخاص. ومع ذلك فإن لفظ السرقات شائع بين النقاد منذ وقت مبكر ، مما يدل على أنه اصطلاح متفق عليه فيما بينهم. فقد مر بنا كتاب ابن كناسة المتوفي سنة 207هـ والذي سماه (سرقات الكميت....)، ومحمد بن سلام الذي توفي سنة232هـ– وهو من أوائل النقاد الذين نعرفهم في نقدنا العربي– استخدم في كتاب الطبقات لفظ السرقة أيضا (2). ومن المدلولات الخاصة بالسرقات التي استخدمها ابن سلام ، وأصبحت بعد ذلك من المصطلحات المتفق عليها بين النقادالاجتلاب (3). و **الإغارة** (4). "وابن السكيت الذي توفي سنة240 هـ استخدم – كما رأينا – لفظ السرقات في كتابه (سرقا ت الشعراء وما اتفقوا عليه).أما الجاحظ توفي سنة 255هـ فقد استخدم لفظ **الأخذ**" (5)، "يعني به السرقة ، بل واستخدم لفظ السرقة بنصه في كتاب الحيوان" (6)، والزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الذي توفي سنة 256هـ– كما مرّ بنا– لفظ الإغارة في كتابه (إغارة كثيرعلى الشعراء) .

---

(1) ينظر: ابن النديم،الفهرست،ص6 14، ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ص90.
(2) ينظر: محمد بن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء، ص17ـــ 27.
(3) ينظر: المرجع نفسه،ص17.
(4) ينظر: المرجع نفسه،ص147.
(5) الجاحظ ، البيان والتبيين، تح وشر : عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1948م،ص 17.
(6) الجاحظ ، الحيوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1969م، ص311.

أما ابن قتيبة الذي توفي سنة 276هـ فهو- وإن كان لم يستخدم لفظ السرقات بصورة واضحة- إلا أنه استخدم مدلولات خاصة بها،لا تظهر حياده-كما يقول طه إبراهيم- أو تحرجه من استخدام هذه الكلمة،لأنه استخدم اصطلاحا يشير إلى أقبح أنواع السرقات عند النقاد وهو السلخ (1). كما استخدم أيضا لفظي الإتباع (2) ، و **الأخذ** (3).

على أن ابن قتيبة قد استخدم لفظ السرقة بنصه في أحد المواضع ، وذلك حين ذكر بيت امرئ القيس :

لهُ أيْطلا ظبْيٍ، وسَاقا نَعَامَةٍ
وإرْخَاءُ سَرْحَانٍ، وتَقْرِيْبُ تَثْفُلِ.

قال: " وقد تبعه الناس في هذا الوصف ، وأخذوه. ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد وكان أشدهم إخفاء لسرقة، القائل -وهو المعذل- :

لـــه قُصْرِيا رِئْمٍ وَشِدْقا حَمَامَةٍ
وسَالِفَتَا هَيْقٍ مِنَ الرُّبْدِ أرْبَدَا ".(4)

ومادمنا بصدد الحديث عن مناهج النقاد، فقد يكون من المفيد للبحث العلمي إن نتناول هذه المناهج للحديث عن السرقات في كتب النقد القديمة، وإن كنا في الوقت ذاته لن نهمل قط التتابع التاريخي في تأليف هذه الكتب.

1- طبقات الشعراء لابن سلام:

من الطبيعي أن لا ننتظر وجود دراسة منهجية لمشكلة السرقات في كتب طبقات الشعراء لأنها لا تختص بالحديث في مثل هذه المشكلات النقدية وإنما يعرض فيها الحديث عن السرقات عند الكلام على اتجاهات الشعراء في معانيهم. ولعل كتاب (طبقات الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي هو أول كتب النقد التي وصلتنا.

---

(1) ينظر:ابن قتيبة ،الشعر والشعراء ، تح مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2000 م،ص13.
(2) اينظر:لمرجع نفسه، ص40.
(3) ينظر:المرجع نفسه،ص 53 ــ 54... الخ.
(4) المرجع نفسه،ص55.

ولا نستطيع -كما بينا- أن نقول إن لابن سلام منهجا معينا في دراسة السرقات لأنه لم يفرد لها بحثا ولم يتعمدها بالبحث والدراسة ، ولكنه عرض لها بصورة عابرة في حديثه عن الشعراء .بيدا أننا- في الوقت نفسه- نستطيع أن نقول إن لابن سلام "نظرات" في موضوع السرقات نحصرها فيما يلي:

أولا: ابن سلام يقر أن هناك سرقات حدثت في العصر الجاهلي بقوله: " كان قراد بن حنش من شعراء غطفان، وكان جيد الشعر وقليله، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره وتدعيه" (1)، ويؤكد ذلك بأبيات سرقها زهير بن أبي سلمى من هذا الشاعر .

ثانيا: فطن ابن سلام إلى فكرة الاقتباس والتضمين ، فهو يروي عن خلف أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي مربض المستنفر الحامي.

فسأل ابن سلام يونس عن البيت فقال : " هو للنابغة أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه ، ولا مجتلبا له . وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة". (2)

ثالثا: "فطن ابن سلام أيضا إلى أن اختلاف الرواية يؤدي أحيانا إلى فكرة السرقات ، فبنو عامر تروي بيتا للنابغة الجعدي في حين أن بعض الرواة ينسبونه إلى أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي " (3) . " وبعض الرواة ينسبون أبياتا لأمية بن أبي الصلت ، في حين أن بعضهم الآخر يرونها للنابغة الجعدي".(4)

رابعا: تنبه ابن سلام إلى فكرة المعنى الذي تداول حتى استفاض وصار كالمشترك فهو يقر أن امرئ القيس"سبق العرب إلى أشياء إلا ابتدعها استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء،من استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب وقرب الأخذ ، وشبه النساء بالظباء والبيض والخيل بالعقبان والعصي وقيد الأوابد ... ". (5)

هذه هي نظرات ابن سلام في موضوع السرقات ،وهي نظرات ستؤثر فيمن أتى بعده من النقاد كما سنرى .

---

(1) ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ص147.
(2) المرجع نفسه،ص17.
(3) المرجع نفسه،ص17.
(4) ابن سلام الجمحي،طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، دت ،ص27.
(5) المرجع نفسه،ص16.

2- الشعر والشعراء لابن قتيبة :

والكتاب التالي الذي وصل إلينا بعد كتاب ابن سلام هو كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة وهو من كتب الطبقات أيضا، لا يعتمد السرقات بالدراسة والبحث ولكنه يعرض لها في أكثر من موضع.

ونستطيع أيضا أن نقول إن له في السرقات نظرات نحصرها فيما يلي:

1/ "رد ما قاله ابن سلام فيما يتعلق بفكرة المعنى الذي تداول حتى استفاض وصار كالمشترك. ولكنه وسع من معنى هذه الفكرة بعد أن حدد طريقتها وأوضح منهجها " (1). ورد أيضا ما قاله" ابن سلام عن امرئ القيس ، وأورد كثيرا من الأمثلة ليؤكد كيف أن الشعراء اتبعوه وأخذو ا منه . وهو يكاد يحصر الآخذين منه في الجاهليين والإسلاميين فحسب".(2)

2/ تنبه ابن قتيبة إلى السرقة الخافية، فهو حين يعرض لأخذ الشعراء معنى بيت امرئ القيس:

لَـهُ أَيْـطَـلا ظَـبْـيٍ، وَسَـاقَـا نَـعَـامَـةٍ.....[البيت]

يقول عن المعذل،وكان أشدهم إخفاءا للسرقة.

3/ وتنبه ابن قتيبة أيضا إلى أن زيادة الآخذ على المعنى المأخوذ يتيح له فضل الزيادة فهو يقول: " وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ
وَأُخرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا.

حتى قال أبو نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء.

فسلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه، فللأعشى فضيلة السبق ولأبي نواس فضل الزيادة فيه ". (3)

---

(1) ابن قتيبة ،الشعر والشعراء، ص14 ـــ 18.
(2) المرجع نفسه، ص53 ـــ 55.
(3) المرجع نفسه،ص13.

4/" أكد ابن قتيبة ما فطن إليه ابن سلام من أن اختلاف الرواية قد يؤدي إلى فكرة السرقة، فهو ينكر أبياتا لأبي كبير الهذلي، ويقول إن الرواة ينسبونها لتأبط شراً ".(1)
"ويذكر أيضًا أن الرواة ينسبون إلى أبي الطمحان القيني أبياتا للقيط ابن زرارة". (2)

5/" يتضح من السرقات التي أوردها ابن قتيبة أنه كان منتبها إلى قسمين منها لأنه كان يجمع أمثلتها الموحدة . وإن كان لا يشير إلى القسم الذي تتبعه هذه الأمثلة . فابن قتيبة يشير إلى سرقة الألفاظ كقول امرئ القيس "(3):

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا
على ظهر محبوك السراة محنب.

وقول زهير:

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا
على ظهر محبوك ظماء مفاصله.

وهو أيضا يشير إلى سرقة المعاني فهو يقول إن زهيراً والنابغة أخذا معنى بيت أوس حجر:

لعمرك إنا والأخاليف هؤلاء
لفي حتبة أظفارها لم تقلم .

فقال زهير:
لذى أسد شاكي مقذف
له لبد أظفاره لم تقلم .

وقال النابغة:
وبنو قعين لامحالة أنهم
آتوك غير مقلمي الأظفار.

---

(1) ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ص421.
(2) المرجع نفسه،ص54.
(3) المرجع نفسه،ص447.

6/ تنبه ابن قتيبة إلى أن الإتباع والأخذ يكونان في الطريقة والنهج أيضا دون اللفظ والمعنى، فهو يقول عن مسلم بن الوليد "وهو أول من ألطف في المعاني ورقق القول ، وعليه يعول الطائي". (1)

ويضيف طه إبراهيم أخريين ، يقول في الأولى : "إن ابن قتيبة لم يستخدم لفظ السرقة في الإسلاميين ومن قبلهم وأنه لم يجار معاصريه في هذا الاستعمال الذي أكثروا منه نقد المحدثين . ولابد في صدده عن هذا الاصطلاح من حكمة. ولعله يرى ما يراه القاضي الجرجاني في أن ذلك عند القدماء أدنى إلى التوارد منه إلى الإغارة والسلب ، أو لعله لا يرى لنفسه بت الحكم على شاعر بالسرقة كما فعل القاضي بعده". (2)

وقد بينا من قبل أن طه إبراهيم لم يتنبه إلى الموضع الذي وصف فيه ابن قتيبة المعتزل بأ كان أشدهم إخفاءا للسرقة، ولهذا نستطيع أن نعدل ملاحظة طه إبراهيم فنقول إن ابن قتيبة لم يتوسع في اتهام الإسلاميين ومن قبلهم بالسرقة، وإنما كان ينسب إليهم الأخذ وهو أخف من السرقة لفظا عند النقاد.

أما الملاحظة الثانية فقد وجد طه إبراهيم أن ابن قتيبة لا يقول في محدث بعد بشار وم سبق إليه فأخذ منه ويتساءل الكاتب" أذلك لأن الناقد يستطيع أن يستقصي ما أخذه القدماء بعضهم من بعض لقلته وندرته ولا يستطيع أن يفعل ذلك في المحدثين؟أم لأنه يرى أن من ش المحدثين ألا يبدعوا وألا يخترعوا" (3).وردنا على هذه الملاحظة هو أن ما ذكره الكاتب ع ابن قتيبة صحيح لا مطعن فيه ولكن تساؤله ليس بصحيح لأن بشارا نفسه كان محدثا ، بل ي رأس المحدثين، فما دام ابن قتيبة قد جعله سابقا إلى معنى فهو إذن يرى أن من شأن المحدث أن يبدعوا ويخترعوا.

هذه هي نظرات ابن قتيبة في موضوع السرقات وهي – كما نرى– أوسع دائرة من نظرات ابن سلام وإن كانت لا تزال بعيدة عن أن تكون منهجا له معالم محددة.

---

(1) ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ص528.
(2) طه إبراهيم ،تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص177.
(3) المرجع نفسه،ص178.

3- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (سنة 322هـ) :

ويعتبر هذا الكتاب من أوائل الكتب النقدية التي وصلتنا،وصاحبه هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي من نقاد القرن الثالث وأوائل الرابع . وقد تعرض في كتابه للسرقات فالتمس العذر للمحدثين "لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة " (1). ولهذا السبب أباح للشاعر الاقتداء بأشعار الأقدمين ولكن" ليس الاقتداء بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن ".(2)

ولا يبيح ابن طباطبا السرقة على إطلاقها،أو تصنع المهارة في إخفائها، بل ينبغي على الشاعر ألا " يغير على معاني الشعر فيودعها شعره ، ويخرجها في أوزان مخالفة لأوزان الأشعار التي يتناول منها ما يتناول ، ويتوهم أن تغييره للألفاظ والأوزان مما يستر سرقته أو يوجب له فضيلة" .(3)

ويخرج ابن طباطبا بفكرة جديدة-وإن كانت مبنية على فكرة الرواية أصلا- لها قيمة حقا في ميدان الأدب والنقد ، وهي فكرة التمرس بآثار السابقين، لا نقلها ، أو محاولة السرقة منها. فابن طباطبا يطلب إلى الشاعر أن " يديم النظر في الأشعار .... لتلصق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه، وتصير مواد لطبعه ، ويذوب لسانه بألفاظها . فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاد مما نظر فيه من تلك الأشعار، فكانت تلك النتيجة كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن ، وكما قد اغترف من واد قد مدته سيول جارية من شعاب مختلفة، وكطيب تركب من أخلاط من الطيب الكثيرة ، فيستغرب عيانه، ويغمض مستنبطه، ويذهب في ذلك إلى ما يحكي عن خالد بن عبد الله القسري فإنه قال :
-حفظني أبي ألف خطبة ثم قال لي: تناسها ، فتناسيتها ، فلم أر بعد شيئا من الكلام إلا سهل علي- فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيبا لطبعه ، وتلقيحا لذهنه ، ومادة لفصاحته وسببا لبلاغته ولسنه وخطابته".(4)

"هذه هي الفكرة الجديدة التي قررها ابن طباطبا العلوي، وقد كان من المعتقد أن القاضي الجرجاني هو أول من قررها فيما سماه **الدربة**، ولكننا الآن نعرف المصدر الذي استقى منه القاضي فكرته . وشيء آخر نريد أن نسجله وهو أن القاضي الجرجاني لم يربط فكرة الدربة بالتقليد و السرقة كما فعل ابن طباطبا فيما قدمنا من كلامه . بل إن ابن طباطبا كان مهتما بالفكرة إلى حد كبير حتى إنه ألف كتابا خاصا بها سماه (تهذيب الطبع)" (5) ، ضاع فيما ضاع من تراثنا الفكري.

---

(1) ينظر: ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح عباس عبد الساتر- نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005م ،ص
(2) المرجع نفسه،ص12.
(3) المرجع نفسه،ص12.
(4) المرجع نفسه،ص13.
(5) المرجع نفسه، ص13.

ويضع ابن طباطبا قواعد للسرقة الحسنة فيقرر أن الشاعر إذا تناول " المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها ، لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه".(1)

ووسيلة ابن طباطبا إلى ذلك تتحصر في:

أ- إلطاف الحيلة في الأخذ .

ب- تدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها.

جـ- تلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها .

د- استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناوله منه الشاعر.

هـ- تناول المعنى اللطيف في المنثور وجعله شعرا.

"ويجعل ابن طباطبا هذه الوسيلة الأخيرة أخفى الوسائل وأحسنها ويستشهد على ذلك بإجابة العتابي حين سئل : بماذا قدرت على البلاغة؟! فقال : بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول" (2). ولا شك أن ابن طباطبا هو أول من جعل الأخذ من النثر من السرقات الحسنة فقط لاحظ النقاد من قبله هذا النوع من الأخذ، ولكنهم لم يجعلوه من بين قواعد السرقة المستحسنة.

4- كتاب الموشح للمرزباني (سنة 384هـ) :

يعتبر هذا الكتاب من الكتب العامة في النقد لأنه(في مآخذ العلماء على الشعراء) و صاحبه هو أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني وله كتاب آخر أسماه(كتاب الشعر) تكلم فيه عن فضائله ووصف نعوته وعيوبه، وفصل فيه الكلام على السرقات.ولكن هذا الكتاب لم يصلنا ، وعلى هذا فسنحاول أن نتبين منهج المرزباني في دراسة مشكلة السرقات من كتاب الموشح . والواقع أن المرزباني لا يعرض في الموشح دراسة منهجية في السرقات ، ولكنه يكثر من أخبارها ، ويستخدم في سرد هذه الأخبار المصطلحات التي سبق إن استخدمها النقاد المتقدمون عليه كالنسخ والمصالتة والانتحال والاجتلاب والاحتذاء والنقل . ولكنه يزيد مصطلاحا جديدا وهو **المسخ** ويقصد به تقصير الشاعر عن المعنى الذي أخذه من سابقه .

يقول المرزباني مثلا إن بيت بشار(3):

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ.

---

(1) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر ، ص14 .

(2) المرجع نفسه،ص 14.

(3) ينظر: المرزباني، الموشح في مآخذ العلماءعلى الشعراء،تح محمد علي البجاوي،دار الفكر العربي،القاهرة،1965م، ص12

" قد مسخه العتابي فقال :

وفي المآقي إنقِبَاضٌ عَن جُفُونِهمَا وفي الجُفون عَن الأمَاق تقصيرٌ".(1)

ويميل المرزباني إلى كراهية التعصب في الإدعاء على شاعر بالسرقة،فحين روى عن الأصمعي قوله: تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة قال"ولسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة، فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال".(2)

ويعيد المرزباني ما سبق أن قرره النقاد من قبل بشأن السرقة الممدوحة والسرقة القبيحة. فيقول:
" ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى:

-1 يزيد في إضاءة المعنى .
-2 أو يأتي بأجزل من الكلام الأول.
-3 أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به .
-4 وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه" (3) . ويقول في موضع آخر: " وحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعه السابق إليه، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه،فأما فإذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة، مذموم في التقصير".(4)

هذه النظرات العامة للمرزباني، وواضح أنه لم يجدد فيها شيئا يستحق أن نسجله له ولكننا آثرنا الحديث عنه طبقا لخطتنا في استقصاء مناهج النقاد.

---

(1) المرزباني، الموشح في ماخذ العلماءعلى الشعراء ،ص293.
(2) المرجع نفسه ،ص106.
(3) المرجع نفسه ،ص312 .
(4) المرجع نفسه ،ص293 .

5- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (سنة 395هـ) :

اهتم أبو هلال بدراسة السرقات في كتابه اهتماما كبيرا،وقد جعل دراسته في فصلين: الأول في حسن الأخذ، والثاني في قبح الأخذ .

ويمكننا حصر منهج أبي هلال في في دراسته لمشكلة السرقات فيما يلي :

1- جعل أبو هلال المعاني على ضربين : " الأول يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إلمام يقتدى به فيه ، والآخر يحتذيه على مثال تقدم ".(1)

2- يقرر أبو هلال أن الناس لا غنى لهم عن تناول معاني المتقدمين، كما يقرر أن المعاني مشتركة بين العقلاء ، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها.(2)

3- يؤمن أبو هلال بتوارد الخواطر،فقد يقع للمتأخر معنى سبق إليه المتقدم من غير أن يلم به.

4- يؤمن أبو هلال بالأخذ الحسن ، ويضع له القواعد التالية(3) :

أ - أن يكسو المتأخر معنى المتقدم ألفاظ من عنده.
ب- أن يصوغه صياغة جديدة ويورده في غير حليته الأولى.
جـ -أن يزيد في حسنه تأليفه ، وجودة تركيبه ، وكمال حليته.
د- أن يأخذ معنى من النثر فينظمه.
هـ- أن ينقل المعنى من غرض لآخر.
و- أن يخفي الشاعر سرقته"فالحاذق يخفي دبيبه إلى المعنى.

---

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين : الكتابة و الشعر ، تح د مفيد قميحة،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، 1981م،ص
(2) ينظر:المرجع نفسه ،ص196.
(3) ينظر:لمرجع نفسه ،ص198.

5-" يحصر أبو هلال الأخذ القبيح فيما يلي" (1):

أ- أخذ المعنى بلفظه كله.
ب- أخذ المعنى بأكثر لفظه.
جـ- عرض المعنى الجميل في معرض مستهجن.
د- أخذ البين الواضح بإخفائه.
هـ- أخذ الموجز المختصر بإطالته من غير زيادة في معناه.

6- فطن أبو هلال إلى أثر البيئة في تشابه المعاني ، وجواز توارد الخواطر، فهو يقول : " وإذا كان القوم في قبيلة واحدة ، وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة ". (2)

وهذه هي القواعد التي ارتكز عليها منهج أبي هلال العسكري في تناوله لمشكلة السرقات، ويمكننا أن نقول مطمئنين إنها جميعا قواعد قديمة سبقه النقاد إليها ولا نرى فيها شيئا جديدا يستحق أبو هلال التمجيد من أجله، فمندور مثلا يقرر أن العسكري وضع لهذه المشكلة أصدق حل(3). ولا ندري ما هو هذا الحل الذي وضعه أبو هلال العسكري دون النقاد السابقين عليه.وإبراهيم سلامة يقول إن" السرقات باب جديد...فتحه رجال النقد قليلا،وألح عليه العسكري بالطرق،فكان سابقا بالتدوين، وإن كان مسبوقا بالفكرة وتطبيقاتها" (4). ومما تقدم نعلم تمام العلم أن أبا هلال كان مسبوقا بالتدوين أيضاً. "أما بدوي طبانة فقد بالغ حين قرر أن دراسة العسكري للسرقات دراسة فريدة في بابها" (5)،و"أنه من السابقين إلى التنبيه إلى أثر البيئة"(6). وسنعلم عند الحديث عن الوساطة أن القاضي الجرجاني قد يبق أبا هلال في التنبه إلى أثر البيئة.

ولعل الجديد عند أبي هلال حقاً،جعله للمعاني على ضربين: مبتدع،ومولد، وتنبه إلى أن المعنى المبتدع يكون معنى انفعالياً.فهو يقول إنه" للأديب عند الخطوب الحادثة، ويتنبه له عند الأمور الطارئة" (7).ومع إيمان أبي هلال بوجود المعاني المبتدعة، فهو يقرر أنه" ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم".(8)

---

(1) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 229 ـــ 232 .
(2) المرجع نفسه نفسه، ص 230 .
(3) ينظر:محمد مندور،النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر،1996م،ص280 .
(4) إبراهيم سلامة ،بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، مكتبة الأنجلو،القاهرة،ط2 ،1951م، ص201.
(5) بدوي طبانة،أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لبنان،ط3،1981م،ص165.
(6) المرجع نفسه،ص176.
(7) أبو هلال العسكري، الصناعتين ،ص69.
(8) المرجع نفسه ، ص196.

المبحث الثالث: أنواع السرقات الأدبيـــة.

كما وسبق وأن ذكرنا بأن من العلماء من ألف كتبا في السرقات عند شاعر معين، وهناك من ألف في أنواع السرقات الأدبية على العموم، وضربوا لها أمثلة من أشعار مختلفة ، وإن كنا لا نستطيع إيراد كل الأنواع عند كل العلماء، وهذا لن يتحقق مهما أوتينا من قوة، و قد خصصنا أنواع السرقات عند الحاتمي ، ابن رشيق القيرواني، عبد القاهر الجرجاني، ابن الأثير، والخطيب القزويني، وما تبعه من الشراح لكتابه الشهير الإيضاح .

وبعد النظر في هذه الأنواع وجدنا أن هناك أنواعا مشتركة بين العلماء السابقين، وأسماءها مختلفة، وعلى هذا لا نذكر الأنواع عند كل عالم بل سنذكر كل نوع وما سماه كل عالم من اسم، لأن بعض الأنواع وإن تعددت فهي واحدة، وإن اختلفت التسميات من عالم إلى آخر، وحتى لا نقع في التكرار سنندرج هذه الأنواع تحت أربعة أقسام، وهي:

1- سرقات معنوية.

2- سرقات لفظية.

3- سرقات أسلوبية .

ونفصل هذه الأقسام كما يلي :

أولا - السرقات المعنوية:

بدأنا بالسرقات المعنوية لأن السرقات الأدبية في جانب المعنى هي الأكثر تناولا عند النقاد المتقدمين، وأكثرها شيوعا عند السارقين، لأن أخذ الألفاظ والمعاني معا هي الأسهل اكتشافا، لكن أخذ المعنى وطمس معالمه، يصعب من عملية الاكتشاف بل حتى أن السارق يعمد لإخفاء مسروقه، فكذلك السارق الأدبي يعمد لإخفاء مسروقه بأخذ المعنى فقط ، وتغييره، حتى لا يكشف أمره، وأنواع السرقات المعنوية أكثر من السرقات اللفظية والأسلوبية، وهي أخطر أنواع السرقات عموما.

وأبو هلال العسكري عندما يتكلم عن حسن الأخذ، وتناول المعاني يقول: " ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول المعاني ممّن تقدمهم والصّبّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تآليفهم، ويوردوها في غير حلتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها، وجودة تراكيبها، وكمال حليتها، ومعرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها".(1)

---

1) أبو هلال العسكري ، الصناعتين،ص217 .

ويقول العسكري أيضا: "وقد أطبق المتقدّمون، والمتأخّرون على تداول المعاني بينهم فليس على أحد فيه عيب إلاّ إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده، وقصر فيه عمن تقدمه، ور أخذ الشّاعر القول المشهور ولم يبال" (1) ، فالمبرّدالذي توفي سنة285هـ أيضا لا يرى في أن يؤخذ المعنى، ويزاد عليه بتعبير أحسن مما كان عليه ، وعبد القاهر الجرجاني يرفع هذا لأنّ أخذ المعنى لا يمكن أن نكسوه لفظا من عندنا، ويبقى قائما بذاته إلاّ إذا غيرنا لفظا بمرادفه، وهذا ما نلمسه من قوله: وممّا إذا تفكر فيه العاقل أطال التّعجب .

من أمر النّاس، ومن شدّة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الأخذ السّرقة : إن من أخ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحقّ به، "وهو كلام مشهور مبتذل"(2) ، " لأنّه لا يتصور أنّ يكون صورة المعنى في أحد الكلامين، أو البيتين مثل صورته في الأخذ لبيت، ا أن يعمد عامد إلى البيت فيضع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها، ولا يعرض لنظمه،وتألي فمثل أن يقول في بيت الحطيئة " (3):

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنـــت الطّاعم الكاسي .

فيقول:

دع المفاخر ولا تذهب لمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل اللابس .

هذا إن كان باللغة العربية مترادفات، غير أن الكثير من العلماء يؤكدون بأن لكل كلمة دلالتها، ولا يمكن لكلمة أخرى حتى وإن كانت مرادفة لها أن تشغل الحيز الدلالي لكلمة أخر بشكل كلي، فلكل كلمة مقامها ودلالتها.

والسرقات المعنوية أنواع ، وهي:

** الاختلاس ،الإلمام، النظر والملاحظة، الاهتدام، المجدود، كشف المعنى، الإغارة، الالتقا والتلفيق عند ابن رشيق القيرواني والحاتمي، والمسخ،السلخ، عند ابن الأثير، وجعلها القزوين على نوعين الإغارة والمسخ، والإلمام والسلخ .

وقد قصد القزويني بهذا التقسيم أي أن هناك سرقات على مستوى المعنى ظاهرة سهلة الكشف وأخرى غير ظاهرة صعبة الكشف، ومن هذا التقسيم الأخير نقسم السرقات المعنوية على قس هما :

أ-السرقات المعنوية الظاهرة: وهي سرقات سهلة الكشف، ويمكن الوقوف على أمرها ومصدرها، بيسر وسهولة، هذا طبعا لمن يمتلك رصيدا لا بأس به من المرجعيات الثّقافية، والفكرية والأدبية، وهي"إن كان مع تغيير لنظمه ، وكان المأخوذ بعضه سمّي إغارة، ومسخا".(4)

---

(1) أبو هلال العسكري ، الصناعتين ،ص218 .

(2) عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، تح د.محمد رضوان الداية و د.فايز الداية،دار الفكر، ط2 ، 2008م، ص346 .

(3) المرجع نفسه،ص350.

(4) القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع ، تح عماد بسيوني زغلول ، ج6، دار الأرقم ، ط1، 2005م،ص124 .

"وهو على ثلاث أضرب"(1):
- عندما يكون الثاني أبلغ من الأوّل.
- وقد يكون أدوّن منه.
- وقد يكون مثله أو مساويا له .

وهذا القول والتفصيل لا يخرج عن ما قاله عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: "وإن كان ممّا ينتهي إليه المتكلّم بنظر، وتدبر،وينال بطلب، واجتهاد ، وبهذا الشّرط يكون إمكانه، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص، والسّبق، والتقدّم، والأولية، وأن يجعل فيه سلف، وخلف، ومفيد، ومستفيد، وأن يقضي بين القائلين فيه بالتّفاضل، والتّباين، وأن أحدهما فيه أكمل من الآخر، وأنّ الثّاني زاد على الأوّل أو نقص عنه، وترقى إلى غاية أبعد من غايته، أو انحطّ إلى منزلة هي دون منزلته" .(2)

- **الإغارة** : أن يضع الشّاعر بيتا، ويخترع معنى مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا، وأبعد صوتا فيروى له دون قائله، كما فعل الفرزدق بجميل بن معمر ، وقد سمعه ينشد:

ترى النّاس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا للنّاس أوقفوا.

فقال الفرزدق : "متى كان الملك في بني غدرة ؟ إنّما هو في مضر، وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل، ولا أسقطه من شعره" (3) ، فالإغارة والسلب وجهان لعملة واحدة، غير أن الإغارة هي أخذ من غير أن يتنازل صاحبه عن مأخوذه، والسلب هو أخذ مع تنازل صاحب المأخوذ عنه، وسنأتي على ذكر السلب.

- **المسخ**: " فهو قلب الصّورة الحسنة إلى صورة قبيحة، والقسمة تقتضي أن يقرن إليه ضدّه، وهو قلب الصّورة القبيحة إلى صورة حسنة " (4) .
فالأوّل كقول أبي تمّام:

فتى لا يرى أنّ الفريضة مقتل ولكن يرى أنّ العيوب مقاتل.

وقول أبي الطّيّب المتنبّي:

يرى أنّ ما بان منك لضارب بأقتل ممّا بان منك لعائب.

فهو وإن لم يشوّه المعنى فقد شوّه الصّورة .

---

(1) القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني ،ج6 ،ص124 .
(2) عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ص191 .
(3) ابن رشيق القيرواني ،العمدة،ج2،ص535.
(4) ابن الأثير،المثل السائر،ج2،ص410.

"أما قلب الصّورة القبيحة إلى صورة حسنة، فهذا لا يسمّى سرقة بل يسمّى إصلاحا، وتهذيبا، فمن ذلك قول أبي الطّيّب المتنبّي" (1):

لو كان ما تعطيهم من قبل أن تعطيهم لم يعرفوا التّأميلا .

وقول ابن نباتة السّعدي:

لم يبق جودك لي شيئا أومله تركتني أصحب الدّنيا بلا أمل.

فالصّورة عند ابن نباتة أحسن وأجمل إذ أن جود ممدوح ابن نباتة السّعدي هو الّذي قض على الأمل فكلّ ما يطلب موجود من غير أمل منه، أما جود ممدوح المتنبّي هو دافع الأمل ب به وجد ليطلب أكثر.

وإن كان المأخوذ المعنى وحده سمّي إلماما، وسلخا، وهو ثلاثة أقسام كذلك [أبلغ ، أق مساو] أوّلها، كقول البحتري:

قصد حياء أن تراك بأوجه أتى الذّنب عاصيها قليم مطيعها .

وقول أبي الطّيّب المتنبّي:

وجرم جره سفهاء قوم وحلّ بغير جارمه العذاب .

فإنّ أبا الطيّب أحسن سبكا...

- **الإلمام** : وهو ضرب من النّظر والملاحظة، وهو مثل قول أبي الشيص:

أجد الملامة في هواك لذيذة.

وقول أبي الطّيّب المتنبّي : "أأحبه وأحبّ الملامة فيه". (2)

وضع ابن رشيق القيرواني الإلمام ضرب من النظر والملاحظة، وهو نوع أيضا من السرقات المعنوية، وجعلنا الإلمام في باب السرقات المعنوية الظاهرة، وجعلنا النظر والملاح في باب السرقات المعنوية غير الظاهرة بسبب أن الإلمام ظاهر أمره ويمكن الكشف عن جانـ السرقة فيه ببساطة، لكن النظر والملاحظة عكس ذلك.

---

(1) ابن الأثير،المثل السائر،ج2،ص411.
(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2،ص538.

ب- السرقات المعنوية غير الظاهرة : "وهي صعبة في كشفها، فالسارق يعمد لإخفائها بشكل جيد محكم، ولا يقف عليها إلا الحصيف من الناس، قال فيها القزويني : وأمّا غير الظّاهر فهو على عدّة أضرب،

أولا- فمنه أن يتشابه معنى الأوّل، ومعنى الثّاني ... ، كقول أبي العلاء المعرّي في مرثية"(1):

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنّها في وجهه أثر اللطم.

وقول القيسراني:

وأهوى الّذي أهوى له البدر ساجدا ألست ترى في وجهه أثر التّرب.

ثانيا- ومنه النّقل، وهو أن ينقل معنى الأوّل إلى غير محلّه.

ثالثا- ومنه أن يكون المعنى الثّاني أشمل من معنى الأوّل.

رابعا- ومنه القلب ، وهو أن يكون معنى الثّاني نقيض معنى الأوّل يسمّى ذلك لقلب المعنى إلى نقيضه.

خامسا- ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ، ويضاف إليه زيادة حسنة.

سادسا- ومنها ما أخرجه حقّ التّصرف من قليل الأخذ، و الإتباع إلى حيّز الاختراع، والابتداع، وكلّما كان أشدّ خفاء كان أقرب إلى القبول . (2)

- **السلخ:** أما السّلخ فإنّه ينقسم إلى اثني عشر ضربا، وهذا تقسيم أوجبته القسمة، وإذا تأملته أنّه لم يبق شيء خارج عنه.

فالأوّل: أن يؤخذ المعنى، ويستخرج منه ما يشبهه، ولا يكون هو إيّاه، وهذا من أدقّ السّرقات مذهبا، وأحسنها صورة، ولا يأتي إلاّ قليلا، "فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة الطّرماح بن حكيم الطّائي" (3):

لقد زادني حبّا لنفسي أنّني بغيض إلى كلّ امرئ غير طائل.

أخذ المتنبّي هذا المعنى، واستخرج منه معنى آخر غيره إلاّ أنّه شبيه به فقال:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشّهادة لي بأنّي فاضـــل.

فذمّ النّاقص إيّاه كبغض الّذي هو غير طائل ذلك الرّجل الطّرماح، وشهادة ذمّ النّاقص إيّاه بفضله كتحسين بغض الّذي هو غير طائل نفس ذلك الرّجل عنده أي عند الطّرماح.

(1) القزويني، الإيضاح،ج2، ص 132 .
(2) ينظر : المرجع نفسه،ص133ـــ136 .
(3) ابن الأثير،المثل السائر،ج2 ،ص374.

الضّرب الثّاني: " أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ، وذلك مما يصعب جدا، ولا يكاد يأتي إلا قليلا". (1)

الضّرب الثّالث: وهو أخذ المعنى، ويسير من اللفظ، وذلك من أقبح السّرقات، وأظهرها شناعة على السّارق.

الضّرب الرّابع: وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس، وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حدّ السّرقة.

الضّرب الخامس :أن يؤخذ بعض المعنى.

الضّرب السّادس: وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر.

الضّرب السّابع: وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى.

الضّرب الثّامن: وهو أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا، وذلك أحسن من السّرقات لما فيه من الدّلالة على بسطة النّاظم في القول، وسعه باعه في البلاغة.

الضّرب التّاسع: وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصّا، أو خاصّا فيجعل عاما.

الضّرب العاشر: وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى، وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثل يوضحه.

الضّرب الحادي عشر : وهو اتّحاد الطريق، واختلاف المقصد، ومثاله أن يسلك الشّاعران طريقا واحدة فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين، و هناك يتبين فضـــل أحـــدهما على الآخر. (2)

- **النّظر والملاحظة:** قال أبو علي الحاتمي: " وهذه ضروب من الإشارة إلى المعنى، وإخفاء السّرّ" (3)، فمثل قول المهلهل :

انتضوا معجس القسي وابرقـــ ـــا كما توعد الفحول الفحولا.

نظر إليه زهير بقوله:

يطعنهم ما ارتموا حتّى إذا طعنوا ضارب حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا.

وأبو ذؤيب بقوله:

ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا حنّ نبع بينهم وشريح.

" فالنظر والملاحظة هو أخذ بعض المعنى، والإلمام الذي مر معنا هو أخذ جل المعنى، فالنظ والملاحظة هنا هو بمثابة تركيز نظرك على أمر ما فتأخذ عنه الكثير من الملامح والأوصاف".(4)

ابن الأثير،المثل السائر،ج2 ،ص375.

ينظر: ابن الأثير،المثل السائر،ج2 ،ص375 ـــ391.

الحاتمي ، حلية المحاضرة في صناعة الشعر،ج2،تح الدكتور جعفر الكيالي ، وزارة الثقافة والإعلام بغداد،1979م،ص6

ابن رشيق القيرواني،العمدة،ج2،ص538.

- **كشف المعنى:** "وإبرازه بزيادة منه تزيده نصاعة وبراعة" . (1)

نحو قول امرئ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب.

وقال عبدة بن الطبيب:

ثمت قمنا إلى جرد مسوّمة أعرافهن لأيدينا مناديل.

" فكشف المعنى ، وأبرزه ، وكشف المعنى هو أخذ المعنى بزيادة حسنة عليه، وإظهاره في صورة أحسن مما كان عليه".(2)

- **الالتقاط والتّلفيق** : "وهي ترقيع الألفاظ، وتلفيقها،واجتذاب الكلام من أبيات حتّى ينظم بيتا ".(3)

مثّل قول يزيد بن طثرية:

إذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأنّ شعاع الشّمس دوني يقابله.

فأوّله من قول جميل بن معمر:

إذا ما رأوني طالعا من ثنية يقولون: من هذا ؟ وقد عرفوني.

"ووسطه من قول جرير"(4):

فغضّ الطّرف إنّك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا .

وعجزه من قول عنترة الطّائي :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأنّ الشّمس من حولي تدور.

- الالتقاط والتلفيق هو أن يكون في البيت أكثر من معنى واحد، من معاني أخرى سبقت معناك.

- **الاختلاس :** فهو" كقول أبي نواس"(5):

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنّه لم يخل منه مكان.

اختلسه من قول كثير عزّة:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل .

لاختلاس هنا بمثابة اختلاس النظر في أمر ما، فتأخذ بعضا مما اختلست النظر فيه.

---

1) الحاتمي ، حلية المحاضرة،ج2، ،ص90.
2) ابن رشيق القيرواني،العمدة،ج2، ص540 ــ 541.
3) الحاتمي ، حلية المحاضرة،ج2، ،ص90.
4) ابن رشيق القيرواني،العمدة ،ج2،ص540.
5) المرجع نفسه ،ص538 .

- **الاهتدام** : وهو "افتعال من الهدم فكأنه هدم البيت من الشعر تشبيها بهدم البيت من البناء"(1)، نحو قول النجاشي:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فأخذ كثير عزة القسم الأول،" واهتدم بالقي البيت فجاء المعنى في غير لفظ"(2)، فقال:

ورجل رمى فيها الزّمان فشلت.

- **المجدود** : "وأمّا المجدود من الشعر"(3)، فنحو قول عنترة العبسي:

وكما علمت شمائلي وتكرمي.

رزق جدّة واشتهارا على قول امرئ القيس:

وشمائلي ما قد علمت وما نبحت كلابك طارقا مثلي .

ثانيا – السرقات اللفظية:

يقصد بالسرقات اللفظية أخذ بيت أو أكثر أو ما دونه بلفظه ودون تغيير وصرفه للنفس، على أن الأخذ هو القائل، وليس عن طريق التضمين، والذي هو إدراج بيت من الشعر أو ما دونه أو أكثر منه في الشعر على أنه هو قائله، لكن من الشعر المشهور، والذي لا يمكن إدعاء للنفس وإن لم يكن مشهورا وجب التنبيه عليه كما قال العلماء المتقدمون، والسرقات اللفظية هو هذا الشكل الأول وليس الثاني، سماه العلماء بعدة أسماء، فسماه الحاتمي اصطراقا واجتلابا، وسماه ابن الأثير نسخا، ووضعه القزويني في السرقات أو الأخذ الظاهر إن لم يغير فيه، وابن رشيق سماه الغصب إن أخذ تحت التهديد بالقوة من صاحبه وتهديده بهجائه مثلا، ويسميه سحه مفتاح بالتطابق، وهذه بعض الشواهد لهذا النوع من السرقات وتفصيل بيانه:

سمّى ابن الأثير السرقات اللفظية بالنسخ وجعله على ضربين وقال فيه : "فإنه لا يكون في أخذ المعنى، واللفظ جميعا ، أو في أخذ المعنى، وأكثر اللفظ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب، وعلى ذلك فإنه ضربان" (4):

– **الضرب الأوّل** : ويسمّى وقوع الحافر على الحافر كقول الفرزدق:

أتعدل أحسابا لئاما حماتها بأحسابنا إني إلى الله راجع.

وكقول جرير :

أتعدل أحسابا لكراما حماتها بأحسابكم إني إلى الله راجع.

وقوع الحافر على الحافر هو من باب الموارد، وهذا المثال الذي ضربه ابن الأثير ضربه ابن رشيق في باب الموارد.

---

(1) الحاتمي ، حلية المحاضرة،ج2،ص64 .
(2) ابن رشيق القيرواني،العمدة ،ج2،ص537.
(3) المرجع نفسه،ص541.
(4) ابن الأثير،المثل السائر،ج2، ص371 ــ 372.

- **الضرب الثاني**: "من النسخ ، وهو أن يؤخذ فيه المعنى، وأكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء"(1):

أجاد طويس والشريحي بعده وما فصبات السابق إلا لمعبد

ثمّ قال أبو تمّام:

محاسن أصناف المغنين جمّة وما فصبات السابق إلا لمعبد.

وسمى الحاتمي هذا النوع من السرقات بالاصطراف وجعله على نوعين:

- **اجتلاب واقتحال** وقال فيه : " **الاصطراف** : أن يعجب الشاعر بيت من الشعر، فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اجتلاب، واستلحاق، وإن ادّعاه جملة فهو انتحال، ولا يقال منتحل إلاّ لمن ادّعى شعرا لغيره، وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدّع غير منتحل" . (2)

- **فالاصطراف** "الذي هو اجتلاب واستلحاق"(3)، كما قال زياد الأعجم:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سـائله.

ويروى هذا لأخت يزيد بن طثرية، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره .

"البيت في قصيدة أبي تمّام قالها في مدح المعتصم بالله"(4)، قال في مطلعها:

أجل أيعاد الرّبع الذي حف أهله لقد أدركت فيك النّوى ما تحاوله.

-أمّا **الاصطراف** الذي هو بمثابة انتحال كقول جرير:

إنّ الّذين غدوا بلبك غـادروا وشلا بعينيك لا يزال معينا.

غيّضن من عبراتهن وقلنّ لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا.

"فإنّ الرّواة مجمعون على أنّ البيتين للمعلوط السّعدي انتحلهما جرير"(5) ، وانتحل أيضا قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحيّان ألقيت العصى ومات الهوى لما أصيب مقاتله.

---

(1) ابن الأثير،المثل السائر،ج2، ص373.

(2) ابن رشيق القيرواني،العمدة ،ج2،ص532.

(3) المرجع نفسه،ص533.

(4) البيت في قصيدة أبي تمام قالها في مدح المعتصم بالله قال في مطلعها:

أجل أيعاد الرّبع الذي حف أهله لقد أدركت فيك النّوى ما تحاوله.

والبيت في جملة هذه القصيدة، ينظر : ديوان أبي تمام،ج2،ص15.

(5) ابن رشيق القيرواني،العمدة ،ج2،ص534، والبيتان المنتحلان من المعلوط السّعدي هما في ديوان جرير،ص476، و المنتحل من طفيل الغنوي هو في ديوان جرير،ص384.

أما الخطيب القزويني فأدرج هذا النوع ضمن السرقات أو الأخذ الظاهر، وقال فيها : ا الظّاهر فهو أن يؤخذ المعنى كلّه إمّا مع اللفظ أو بعضه ، وإمّا وحده، فإن كان المأخوذ كلّه غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود لأنّه سرقة محضة، ويسمّى نسخا ، وانتحالا "(1)وقد ر للأمير اليربوعي:

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السّنة الشّهباء أعوزها القطر.

ولأبي نواس:

فتى يشتري حسن الثّناء بماله ويعلم أنّ الدّائـــــرات تدور.

"وفي هذا المعنى ما كان التّغيير فيه بإبدال كلمة أو أكثر بما يراد فيها ، كقول العباس بن ع المطلب رضي الله عنه(2):

وما النّاس بالنّاس الّذين عهدتهم ولا الدّار بالدّار الّتي كنت تعلم.

وقول الفرزدق:

وما النّاس بالنّاس الّذين تعهدتهم ولا الدّار بالدّار الّتي كنت تعرف.

وابن رشيق القيرواني ذكر نوعا يصب في هذا الوادي وهو الغصب، وهو أخذ بيت أو أكثر عن طريق الغصب بالتّهديد والوعيد بالهجاء مثلا وقال فيه: "وأما الغصب فمثّل صنيعه بالشّمردل اليربوعي"(3)، وقد أنشد في محفل :

فما بين من لم يعط سمعا وطاعة وبـــين تميم غير حزّ الحلاقم.

فقال الفرزدق : والله لتدعنّه أو لتدعنّ عرضك، فقال اليربوعي : خذه لا بارك الله لك فيه .

وقال محمد مفتاح في هذا النوع إلى جانب أنواع أخرى والذي سماه التّطابق، وقال فيه – "**التّطابق:** نعني به تطابق نصّ مع نصّ آخر شكلا، ومضمونا" (4)، وإن كان محمد مفتا وسع المفهوم ليشمل النصوص على اختلافها.

---

(1) القزويني ،الإيضاح ،ج6،ص121 ــ 123.
(2) المرجع نفسه،ص123 ــ 124.
(3) ابن رشيق القيرواني ، العمدة،ج2،ص536، والبيت في ديوان الفرزدق،ص312.
(4) محمد مفتاح ، المفاهيم معالم المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1999،1م،ص192.

ثالثا – السرقات الأسلوبية:

السرقات الأسلوبية لا يقصد بها سرقات اللفظ و المعنى، وإنما سرقات تتم على مستوى الأسلوب، وبالتحديد بناء الأبيات، وإن كنا نستبق الأحداث ونقول بأن هذا النوع لم يتناول بالشكل الكافي عند النقاد المتقدمين، فلقد ركزوا على سرقات المعاني، والألفاظ ، وبالشكل الكبير على النوع الأول أكثر، ولا نكاد نجد أكثر من ابن رشيق القيرواني تكلم عن نوعين للسرقات من حيث الأسلوب، وإن لم يسمها بهذا الاسم، وإنما ذكرهما في جملة أنواع السرقات التي تكلم عنها، وسار على طريق ما ذكر الحاتمي، وذكر أنواعا أخرى، على ما غفل عليها الحاتمي، ومما يندرج ضمن السرقات الأسلوبية نجد ثلاثة أنواع:

1- العكس:

"والاسم دال على معناه أي أن يأخذ الشاعر بيتا أو ما دونه أو أكثر، ويقلب معناه ، ويمكن أن يقول البعض هذا سرقات للمعاني، ونقول بأن السرقة ها هنا في الأسلوب أغلب، لأن الشاعر يبني على نفس الأسلوب المسروق منه، ونقدم هذا المثال حتى تتضح الرؤى كقول ابن قيس، ويروي لأبي حفص البصري" (1):

ذهب الزّمان برهط حسان الأولى كانت مناقبـــــهم حديث الغابر
وبقيت في خلق يحلذ ضـــيوفهم منهم بمـــــــنزلة اللئيم الغادر
سود الوجوه لئيمة أحسابـــــهم فطس الأنوف من الطّراز الأخر.

فالبيت الأخير هو عكس "بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه"(2) :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنوف من الطّراز الأوّل.

ومما يلاحظ في هذا البيت هو أن الشاعر عكس كل الألفاظ في البيت المأخوذ منه ، ولكن حافظ على نفس الأسلوب في البيت المأخوذ منه ، وهو ما يعزز الأمر بأن ما كان على شاكلة هذا المثال هو سرقة أسلوبية، وهذا النوع إلى جانب التحاذي، التطابق، التفاعل، التداخل، سماه محمد مفتاح بالقلب، ومحمد مفتاح يضع هذه المفاهيم كمفاهيم ذات وظائف جمالية وإيديولوجية، ولم يعطها صبغة السرقات الأدبية. (3)

---

(1) ابن رشيق القيرواني ،العمدة ،ج2، ص539 .
(2) حسان بن ثابت ، الديوان ،تح و تع وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 2006 م، ص180.
(3) ينظر: محمد مفتاح ، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي،ص194.

2- الموازنة:

الموازنة هو أن "يأخذ الشاعر وزنا واحدا مع شاعر آخر في بيته، ليس من باب الو الشعري، ولكن من باب البناء الواحد من حيث الأسلوب، لا من حيث الألفاظ و المعاني، ، ه المثال سيزيح الغموض، ويبسط الفكرة، وهو مثل قول كثير عزة"(1):

تقول مرضنا فما عدتنا وكيف يعود مريض مريضا

وزان في القسم الآخر قول نابغة بني ذبيان:

بخلنا لبخلك قد تعلمين وكيف يعيب بخيل بخيلا.

فمن الشطر الأخير في كلا البيتين يتضح جليا أن أسلوبهما وبناؤهما واحد، وإن اختلف لألفاظ والمعاني، تكلم أيضا محمد مندور عن هذا النوع إلى جانب الاستحواذ، استعارة المهتار السرقات . وسماه التأثر وقال فيه:"وهو أن يأخذ شاعر، أو كاتب بمذهب غيره في ا الأسلوب،ولقد يكون هذا التأثر تتلمذا، كما قد يكون عن غير وعي، إنما الناقد هو الذي يكت عنه"(2)، ومن هذا التقسيم فمحمد مندور لا يدرجه ضمن السرقات الأدبية، فقد خصصها ب حدها دونه.

- الوزن والقافية :

يعمد كثير من الشعراء من سرقة بعض المعنى وبالاحتفاظ بالوزن والقافية، فتأتي الأسا تقاربة في هذا الباب وقال الخطيب القزويني: " وأعلم أنّ هذا الضّرب ما هو قبيح جدا، و يدل على السّرقة باتفاق الوزن والقافية" (3)، أيضا كقول أبي تمّام:

مقيم الظّنّ عندك والأمانـــي وإن فلقت ركابي في البلاد.

ولا سافرت في الآفـــاق إلا من جدواك راحلتي وزادي.

ل أبي الطيّب المتنبّي:

وإني عنك بعد غـــــد لغـــاد وقلبي عن فنائك غير غاد.

محبك حيثما اتجـــهت ركابي وضيفك كـــنت في البلاد.

ن رشيق القيرواني ،العمدة ،ج2، ص539 .
محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب،ص359.
زويني، الإيضاح،ج6،ص127.